

الحرمان العاطفي و تأثيره على النمو المعرفي لدى الاطفال

أ. حفظ الله. ر

أستاذة بقسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا
جامعة سعد دحلب - البليدة

مقدمة:

إعتبر الطفل لمدة طويلة على أنه عضوية فيزيولوجية فقط، إلا أن الدراسات الحديثة بينت أنه يتفاعل بشكل كبير مع عوامل المحيط، كما أن العلاقات المبكرة مع الام أو البديل عنها لها تأثيرات هامة على نموه النفسي الحركي والنفسي والمعرفي.

ففي مجال النمو النفسي، بين عدة باحثين أن إختلال العلاقة أم- طفل أو إنقطاعها يمكن أن يؤثر على نوعية العلاقات التي يمكن أن يطورها الطفل لاحقاً مع الأشخاص المحيطين به، كما يمكن أن تؤدي إلى اضطرابات سلوكية تتفاوت في حدتها وذلك حسب مدة الانفصال، سن الطفل، وجود أو عدم وجود بديل أمومي يمكن أن يعمل على تحقيق الوظيفة الأمومية.

أما في مجال النمو المعرفي، فالدراسات أوضحت أن هذا الأخير لا يتم بشكل جيد ومتجانس إلا إذا إجتمع بعض الظروف ومن بينها النضج العصبي أي عدم وجود اضطرابات على مستوى الجهاز العصبي، إضافة إلى وجود مثيرات محيطية من شأنها أن تساعد على إستثارة بعض الوظائف المعرفية.

إن نوعية العلاقة أم- طفل تأثير على النمو العقلي للطفل، إذ يؤكد عدة باحثين درسوا تأثير الانفصال المبكر عن الأم على أن عواقب هذا الانفصال أو الحرمان تكون وخيمة فيمكن أن تؤدي إلى تدهور هام في الوظائف المعرفية، صعوبات في التكيف المدرسي و إنخفاض في حاصل الذكاء.

الاشكالية

يكون الرضيع في المراحل الأولى من حياته غير مزود بالوسائل التي تساعد على ضمان بقائه و تحقيق حاجاته و لذلك فإن الحماية و العناية التي يوفرها المحيط (الأم خاصة) تساعد على النمو شيئاً فشيئاً.

يولد الطفل محملاً بمخزون خام لا يعرف كيفية إستعماله و لكن تأثره بالوسط الخارجي يساعد على تنمية هذا المخزون بمعنى تنمية قدراته سواء كانت جسمية أو عقلية وذلك من أجل تحقيق التوازن و التوافق النفسي الاجتماعي.

بالإضافة إلى دور النضج العصبي في نمو الطفل و الذي أكد عليه عدة باحثين نذكر منهم فالون و الذي يؤكد على أن نضج الوظائف العصبية يمكن الطفل من إكتساب مهارات جديدة، كما أن ذلك يتم من خلال إحتكاك الطفل بالعالم الخارجي (بالمحيط)، إذ أن الطفل لا يتمكن من إدراك الواقع إلا من خلال الفعل (الحركات مثلاً) و هو ما يمكنه من الوصول إلى التخيل في زمن آخر. (H.Wallon 1968)

إن أخصائيي الأطفال يوضحون أن نوعية النمو و خاصة المعرفي منه تتحدد بشكل كبير مبكر في حياة الطفل ، كما تماشى و نوعية الإتصالات بين الأم و الرضيع من جهة و الإنفتاح على العالم الخارجي من جهة أخرى. (R.Debray 2000)

يذكر (Bowlby 1958) أن تعلق الطفل بصورة أمومية معروفة يتطور بشكل كبير بين الشهر الرابع و السابع، غير أن التعرف الإدراكي أي التصور الأولي للصورة الأمومية يتم خلال الأشهر الخمسة الأولى.

يذكر winnicott أن الرضيع وحده لا يوجد أي انه من الصعب عزل الطفل عن أمه، كما أن الثدي أساسي لنقل الحب الأمومي و لكن هذا الأخير لا يظهر أيضاً من خلال العناية الجسدية ، معرفة ما يحتاج إليه الطفل و كذلك تلبية رغبته و التي لا تعتبر إشباعاً للذة الفمية. (winnicott 1971)

كما أنه ركز تركيزاً كبيراً على دور الرعاية الأمومية على نمو الطفل، إذ أنه يميز بين نوعين من الأمهات و هما الأم الحسنة و الأم السيئة، فالأولى تستطيع ان تزن مشاعرها و طريقة تعاملها مع رضيعها و ذلك من دون إفراط أو تفريط، في حين أن الثانية تميل إلى إحدى هاتين الكفتين و ذلك ما يؤثر بشكل سلبي على نمو الطفل لاحقاً.

إن وصول الأم إلى مرحلة الأم الحسنة يتم من خلال تمكن الأم من تجاوز مرحلة ما يسمى بالإهتمام الأمومي البدائي و الذي يدوم عدة أسابيع بعد الولادة، إذ يتم تنشيط الحياة الهوائية و الصراعات الطفلية للأم.

كما تؤكد C.Chiland 1989 أن من بين العوامل التي تؤثر على العلاقة أم- طفل نجد حالة الأم التي لا تتمكن من تقبل الطفل المختلف عن الطفل المثالي أي المختلف عن رغبتها و حالة الأم التي لم تتمكن من تجاوز حداد سابق فإنها لا تتمكن من تقبل رضيعها أو طفلها على أنه شخص قائم بذاته وإنما يعيش في عدة حالات على أنه إستبدال للموضوع المفقود .

كما أن العلاقة يمكن أن تتخذ طابع ضد -إكتيبي عندما تعمل الأم على الحفاظ على الإتصالات الخيالية مع الطفل خوفا من فقدانه أيضا (نظرا لحداد سابق).

كما أن نوعية العلاقة أم- طفل ترتبط في كثير من الحالات بنمط العلاقة التي كانت تربط الأم مع والدتها (النقل من جيل إلى آخر)، إذ يمكن للأم أن تسقط معاشها على نمط تعلقها بطفلها (M. Dollander C de Tychey 2002) .

إذ تذكر R.Debay أن جميع هذه الحالات تؤثر على النمو النفسي للطفل و بالتالي على نموه المعرفي، لأن الأم تتمكن من خلال وظيفة الصاد من تصفية و غربة الإستشارات الكبرى التي يتعرض لها الطفل .

من بين الأفكار التي جاءت بها R.Debay نجد فكرة الأم الكفؤة (compétente) أي التي تتمكن من خلال عنايتها بطفلها من تمكينه من إظهار إمكانياته و قدراته و هذا ما يسمى بالإعجاب المتبادل، إلا أن عدم تمكن الأم من الإنقاص من قلق طفلها يؤدي إلى عدم تمكن الطفل من تشجيع أمه و هو ما يعرف بالخبية المتبادلة. إن هذه التجربة تؤثر بشكل كبير على النمو المعرفي للطفل لأنه سيطور ميكانيزمات دفاعية خاصة و بالتالي لا يتمكن من الإحتفاظ بالتجارب الجيدة (لأن السيء يغلب على الجيد) (R.Debay 2000). يظهر الإختلال من خلال إضطراب إدراك المعطيات، إرصانها

و كذلك من خلال إيصال النتيجة للآخر، ذلك أن الطفل يدرك الواقع بشكل واسع، غامض و غير كافي و لا يتمكن من الوصول إلى سلوك الإكتشاف، كما يحدث إضطراب في اللغة و في التوجه الزماني- المكاني.

أما إضطراب الإرصان فيؤدي إلى عدم إمكانية إيجاد إطار لحل المشكلات بسبب غياب سلوك التخطيط و عدم القدرة على إرصان بعض الفئات المعرفية. أما فيما يخص إيصال النتيجة فإن الإتصال يكون غير مفهوم (Ibid).

كما أن E. Schmid Kitskis وضحت أن عدم تمكن الأم أو البديل عنها من تحقيق إشباع الطفل فإن ذلك يخل بالسياق المعرفي (E. Schmid Kitskis 1991).

عندما نذكر إختلال العلاقة أم - طفل، يتبادر إلى ذهننا ما جاء به الباحثين في مجال الحرمان الأمومي، ففي هذا الإطار يستعمل M.Soulé و M.Lebovici مصطلح الحرمان من العناية الأمومية للدلالة على مختلف الوضعيات المؤخوذة بصفة معزولة أو مرتبطة و التي لها نتائج مشابهة. تنقسم هذه الوضعيات و التي كانت موضوع عدة بحوث إلى:

1 . الحرمان الناتج عن تواجد الرضيع أو الطفل في مؤسسة أو مستشفى و لا يجد البديل الأمومي المناسب و لا يحصل على العناية الأمومية الكافية و بالتالي لا يتمكن من التفاعل المناسب مع صورة أمومية.

2 . الحرمان الذي ينتج عندما يعيش الطفل مع أمه و لا يحصل على العناية اللازمة و ليست له إمكانيات التفاعل اللازمة.

3 . الحرمان الناتج عن عدم قدرة الطفل على التفاعل مع صورة أمومية و إن كانت موجودة بجانبه و جاهزة على تقديم العناية اللازمة و تنتج هذه الحالة عن إنقطاعات الصلة المتكررة مع الصور الأمومية. (M.Soulé S.Lebovici 1970p373)

يعد R.Spitz من المنظرين الذين بينوا تأثيرات اضطراب العلاقة أم - طفل و يتم ذلك من خلال ما يعرف بتأثير العامل الكيفي و التي تظهر من خلال الرفض الأولي الظاهر للطفل الكراهية المخبأة على شكل حصر و الكراهية المعوضة شعوريا و التغير الدوري لمزاج الأم.

لقد بين كل من J.de.Ajuriaguerra و D.Marcelli سنة 1984 أن للإنفصال عن الأم تأثير على النمو الإنفعالي و المعرفي و الذي يظهر من خلال إنخفاض حاصل الذكاء والنمو، بالإضافة إلى اضطرابات نفسية-جسمية، إكتئاب و صعوبات في التكيف المدرسي.

وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن معظم الباحثين يؤكدون على دور الأم، خاصة في السنوات الأولى من الحياة لأن ذلك يساعد الطفل على تنمية قدراته النفسية و المعرفية.

إن احتكاكنا المتواصل (لمدة 4 سنوات) مع الأطفال المحرومين من العائلة والمتواجدين بقرية الأطفال - SOS - درارية مكننا من التوصل إلى الملاحظات التالية:

يتواجد هؤلاء الأطفال بدون سند أمومي لأسباب عدة نذكر منها: عدم إعتراف الأب بالطفل لإعتباره ناتج عن علاقة غير مشروعة، طلاق، صدمات نفسية كونهم ضحايا إرهاب أو ضحايا كوارث طبيعية ...)

بحكم ممارستنا المهنية فإننا و في إطار القيام بفحوصات نفسية و عقلية و إستشارات نفسية لهذه الفئة من الأطفال تمكنا من جمع بعض الملاحظات التي نظن أنه من الضروري إدراج البعض منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. يظهر عدد كبير من الأطفال إختلالات على مستوى السلوك.
2. يظهر عدد كبير من الأطفال إختلالات على مستوى الشخصية: ذهانات الطفولة...
3. يظهر عدد كبير من الأطفال إضطرابات علائقية و الإنفعالية.
4. يظهر عدد كبير من الأطفال إضطرابات من الناحية المعرفية.

لا يسعنا في هذا المقال لمناقشة أن نتكلم عن جميع هذه الأنماط من الاضطرابات و لكننا سنركز إهتمامنا على النمط الأخير و المتمثل في الإختلالات المعرفية.

ومن الملاحظات الأخرى التي أثارت إنتباهنا هو وجود تفاوت بين مستويات النمو النفسي و المعرفي بين الأطفال الذين يعرفون أمهاتهم و الأطفال الذين لم يتمكنوا لسبب أو لآخر من التعرف على الأم.

كما أن فحصنا لمجموعة من الأطفال سنة 2001 مكنا من إعطاء تقييم للإمكانيات المعرفية و الخصائص النفسية للأطفال.

عندما أعيدت الفحوصات سنة 2003 لاحظنا وجود تغيرات على مستوى التشخيص ففي حالات كثيرة و جدنا أن بعض الأطفال يظهرون إستدراكات على المستوى النفسي و المعرفي، في حين أن البعض الآخر يظهر نكوصا أو ثباتا على مستوى النمو النفسي و المعرفي و يمكن أن نرجع ذلك التغير لعوامل عدة، من بينها:

- إمكانيات شخصية لدى الطفل.
- عوامل محيطية: قد تتمثل في علاقة خاصة مع الأم البديلة أو في الإطار الزمني المكاني لقرية الأطفال SOS - درارية-

و هذا ما يبين ما لهؤلاء الأطفال من إمكانيات لتجاوز هذا الاضطراب و تحقيق نوع من الإتزان النفسي و تحقيق إمكانيات لإستدراك التأخر.

إنطلاقا مما سبق يمكن أن نقول أنه و من خلال هذا البحث سنحاول دراسة التوظيف المعرفي للأطفال المحرومين من العائلة محاولة منا توضيح خصائص هذا الأخير و كذلك لإظهار تأثير نمط العلاقة أم طفل على نمو الوظائف العقلية.

وعلى هذا الأساس و إنطلاقا من كل ما سبق نطرح السؤال التالي:

ماهي خصائص التوظيف المعرفي للأطفال الذين تعرضوا للإنفصال المبكر عن الأم؟
ولهذا نجيب على هذه التساؤلات بشكل مؤقت لوضع فرضيات نسعى من خلال
بحثنا هذا التحقق منها:

الفرضيات:

- نجد لدى الأطفال الذين تعرضوا إلى إنفصال مبكر عن الأم أنماطا مختلفة من التوظيف المعرفي.
- إن نوعية التوظيف المعرفي لدى الأطفال الذين تعرضوا لإنفصال عن الأم تختلف بين الأطفال الذين عاشوا السنوات الأولى من الحياة مع أمهاتهم و الأطفال الذي تعرضوا لإنفصال مبكر عن الأم.
- يتمكن الأطفال الذين حظوا بحظور أمومي - في بداية الحياة- من أن يطوروا نموهم المعرفي بشكل متجانس.

الجانب المنهجي:

المنهجية:

المنهجية المتبعة في بحثنا حول النمو المعرفي للأطفال المحرومين من العائلة، والذي تم في إطار دراسة عيادية مقارنة بين مجموعتين من الأطفال ، المجموعة الأولى متكونة من ستة أطفال حظوا بعناية أمومية خلال السنوات الأولى من الحياة ، ثم تعرضوا للحرمان في ما بعد و المجموعة الثانية و تتكون أيضا من ستة أطفال تعرضوا للحرمان من الأم منذ الأشهر الأولى للحياة.

لقد لجأنا إلى إستعمال المنهج المقارن لتتمكن من دراسة خصائص كل مجموعة على حدى و من ثم المقارنة بينهما للوصول إلى خصائص التوظيف المعرفي لدى الأطفال المحرومين من العائلة.

إن إستعمالنا لهذا المنهج فرض علينا نتيجة للفرضيات التي طرحناها التي تتمثل في كون التوظيف المعرفي للأطفال المحرمين من العائلة يختلف من طفل لآخر من جهة ومن جهة أخرى حسب سن الحرمان، حيث أن الأطفال الذين حظوا بعناية أمومية خلال السنوات الأولى من الحياة ، ثم تعرضوا للحرمان في ما بعد يختلف توظيفهم المعرفي عن الأطفال الذين تعرضوا للحرمان من الأم منذ الأشهر الأولى للحياة.

أدوات البحث:

لقد إستخدمنا في هذا البحث دراسة ملف الأطفال، إختبار صورة ري و إختبار السلام الفارقة للفعاليات العقلية وإختبار TAT و ذلك للبحث عن خصائص التوظيف المعرفي لكل مجموعة.

كما سنعرض الطريقة التي إعتدناها لتحليل كل تقنية من تقنيات البحث.

خصائص عينة البحث ومعايير إختيارها :

تتكون مجموعة بحثنا من 12 طفل يتواجدون كلهم بقرية الأطفال SOS درارية وتمثل المعايير المعتمدة في انتقاء عيئتنا في ما يلي:

بلوغ الأطفال سن يتراوح بين 6 و 9 سنوات و ذلك لأخذ بعين الاعتبار مرحلة الكمون و كذلك لإمكانية تمرير اختبار E.D.E.I (السلام الفارقة للفعاليات العقلية) لم ندخل في عيئتنا الأطفال الذين أدمجوا مؤخرا في القرية لأن سلوكياتهم أو إستجاباتهم يمكن أن تفسر بشكل خاطئ (قد يكون ذلك أمرا عاديا أو سلوكا استجابيا للاندماج في القرية) (أي أنه من الصعب تمييز ما يعود إلى سلوك الطفل، توظيفه الإعتيادي و توظيفه الإستجابي réactionnel - - لوضعية الإدماج).

أما المعايير التي لم نتقيد بها فهي:

- الجنس: لم نعطي لهذا المتغير أهمية كبرى، إذ أن عيئتنا تتكون من إناث و ذكور
- المستوى الدراسي: لم نأخذ ذلك بعين الاعتبار في عينة بحثنا لأن معظم الأطفال المتواجدين بالقرية أعمادوا السنة الدراسية أو لم يلتحقوا بالمدرسة في سن مبكر و ذلك لسبب أو لآخر.

سنحاول أن نقدم فيما يلي خصائص عينة بحثنا و ذلك حسب الاسم و تاريخ الإدماج في القرية ووضعية الطفل عند الاندماج.

مناقشة النتائج:

سنحاول فيها تلخيص النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث الذي يدور حول التوظيف المعرفي للأطفال الذين تعرضوا للإنفصال المبكر عن الأم.

و نذكر بأن مجموعة بحثنا تتكون من 12 طفلاً حيث قمنا بمقارنة بين مجموعة من الأطفال الذين لهم يحظوا بإمكانية العيش مع أمهاتهم في السنوات الأولى من الحياة

و يتعلق الأمر بستة حالات و المجموعة الثانية تتكون من نفس العدد و تخص أطفالا عاشوا خلال السنوات الأولى من حياتهم مع أمهاتهم و بالتالي حظوا بعناية أمومية، مع العلم أن عينة بحثنا تتواجد جميعا في قرية الأطفال SOS - بدرارية -

من أجل فحص فرضيات بحثنا، إعتدنا على مجموعة من التقنيات و المتمثلة في دراسة ملف كل طفل (من أجل الحصول على معلومات تتعلق بتاريخ الحالة، النمو النفسي الحركي، نوع العلاقة أم - طفل إن تواجدت)، تمرير إختبار صورة ري Figure de Rey لأنه يمكننا من تحديد قدرات الطفل من حيث وظيفتي الإدراك و الذاكرة من جهة كما يمكننا أيضا من إستنتاج بعض خصائص التوظيف النفسي (لأن بعض الباحثين يعتبرون صورة ري إختبارا إسقاطيا)

لقد لجأنا إلى إستعمال إختبار السلام الفارقة للفعاليات العقلية لأنه يمكننا من تكوين فكرة حول نمو الوظائف العقلية للطفل و بالتالي التمكن من إعطاء تشخيص حول ما إذا كان هناك تأخر أو نمو سليم للوظائف العقلية، كما إستعملنا أيضا إختبار TAT لأننا نؤمن بأن دراسة النمو المعرفي لا يمكن أن تتم بشكل منعزل عن دراسة التوظيف النفسي.

الإسم	السن	تاريخ الحالة (الوضعية)
1/ - نسيمه	9 سنوات	لم تعيش مع أمها وإنما لدى بديل أمومي
2/ - صونيا	9 سنوات	لم تعيش مع أمها وإنما لدى بديل أمومي
3/ - أكرم	8 سنوات و 9 أشهر	لم يعيش مع أمه وإنما في دور الحضانة
4/ - رضا	6 سنوات و 6 أشهر	لم يعيش مع أمه وإنما في دور الحضانة
5/ - محمد	7 سنوات	لم يعيش مع أمه وإنما لدى بديل أمومي
6/ - سارة	8 سنوات و 8 أشهر	لم تعيش مع أمها
7/ - كريم	7 سنوات و 9 أشهر	عاش مدة 6 سنوات مع أمه البيولوجية
8/ - أمال	9 سنوات	عاشت مدة 3 سنوات مع أمها البيولوجية

9/- شهر ا زاد	8 سنوات و 4 أشهر	عاشت مدة 7 سنوات مع أمها البيولوجية
10/- سعاد	8 سنوات و 1 أشهر	عاشت مدة 5 سنوات مع أمها البيولوجية
11/- زكي	7 سنوات و 7 أشهر	عاش مدة 7 سنوات مع أمه البيولوجية
12/- سليم	8 سنوات	عاش مدة 7 سنوات مع أمه البيولوجية

تبين لنا من خلال المعطيات التي جمعناها من دراسة ملفات لأطفال أن:

أطفال المجموعة الأولى :-

اختلف معاش الأطفال الذين لا يعرفون أمهاتهم من طفل لآخر، فمنهم من عاش في دور الحضانة (رضا، أكرم، سارة) و منهم من تمكن من الحصول علي جو أسري و ذلك من خلال تواجد أسرة كفيلة كما هو الحال بالنسبة لكل من : نسيم، صونيا، محمد.

إن النمو الحسي الحركي لهذه المجموعة كان مختلفا من طفل لآخر فهناك من تميز نموه بإضطراب مثل حالة:

أكرم: الذي عاني من تشوه خلقي .

رضا : اضطرابات جسمية أزمرة الإستشفاء.

أما الحالات الأربعة الباقية فإنها لم تعاني من أي إضطراب علي مستوى النمو الحسي الحركي إلا أنها أظهرت بعض السلوكات التي تعبر عن وجود معاناة نفسية و تتمثل في سلوكات إنطوائية أو إنسحابية عدوانية (عند رضا) أصعوبات مدرسية و مشكلة التبول الإداري لدي صونيا .

أما من ناحية المحيط فلم يتمكن أطفال هذه المجموعة من العيش مع الأم البيولوجية وذلك لأسباب عدة مثل الحرمان منذ الولادة أو الرفض فيما بعد .

● إلا أن المحيط الذي ترعرع فيه الأطفال كان له تأثير كبير حسب نتائج هذا البحث على النمو المعرفي للأطفال إذ أن:

● الأطفال و إن لم يتمتعوا بعناية من طرف أمها تهم البيولوجيات إلا أن وجود بديل أمومي جيداً قادر على إستدراك الوظيفة الأمومية كان من شأنه مساعدة الأطفال على أن ينموا قدراتهم العقلية بشكل سليم.

● إلا أنه في غياب هذا النوع من البديل الأمومي يظهر بعض الأطفال اضطرابات علي مستوى نمو الوظائف العقلية والتي تعرف باختلالات حاويات الفكر المعرفي و من بينها إضطراب عدم التجانس المعرفي الباثولوجي .

مكننا إختبار صورة ري من التأكيد على أن هذه المجموعة تعاني جميعا من اضطرابات علي مستوى الإدراك و الذاكرة و من بعض الإضطرابات علي المستوى النفسي لأن جميع مستويا تهم ضعيفة جدا و هي تبعد عن منطقة الوسط (تدرج النتائج بين 10 مئني و 30 مئني).

كما أن الصور المقدمة ضعيفة جدا من ناحية الهيكلية، إذا لم يتمكن و لا طفل من إعطاء الأشكال العليا للبناء (النوع I و النوع II).

إن تمرير السلام الفارقة للفعاليات العقلية بين لنا أنه من ناحية نمو الوظائف المعرفية لدى هذه المجموعة هناك عدم تجانس أي أنها نمت بشكل مبثر (disparate)، إذ أننا نجد لدى بعض الأطفال مستويات دنيا في السلام التي لا تتطلب الأشكال العليا من الذكاء مثل سلمي المعارف و الفهم الاجتماعي إلا إنهم تحصلوا على مستويات عليا في السلام التي تتطلب الأشكال العليا من الذكاء مثل سلمي التصور المجرد و التصنيف و التي تتطلب الأشكال العليا من الذكاء.

كما أن طفلين فقط من مجموع ستة أطفال تحصلوا علي نتائج ضعيفة في هذا الاختبار. لقد كنا نتوقع أن تتميز الوظيفة الفتوية بالضعف (لأنها تتطلب اللجوء إلى العمليات المنطقية) إلا أننا وجدنا أنها سليمة عند معظم الأطفال.

أما فيها يخص نتائج الإختبار الإسقاطي (TAT) فلقد لا حظنا أن السياقات الدفاعية الأكثر إستعمالا تتمثل في السياقات التي تترجم اللجوء إلى الخيال و الهوام و السياقات التي تترجم اللجوء إلى الرقابة و السياقات التي تترجم اللجوء إلى التجنب و الكف و هو ما يؤدي إلى إنتاج برتوكولات تتميز سواء بسيادة السياقات الأولية أو برتوكولات هشة من ناحية إرصان الصراعات.

أطفال المجموعة الثانية:

أما في ما يخص نتائج المجموعة الثانية فلقد تميزت أيضا باختلاف على مستوى النتائج المتحصل عليها إذ أن دراسة الملفات وضحت لنا أن جميع الأطفال الذين حضوا بعناية أمومية خلال السنوات الأولى من الحياة لم يتعرضوا لأي اضطراب من ناحية النمو الحسي -الحركي ، وحدها آمال عانت من اضطراب في النطق عندما وضعت في قرية الأطفال و لكنه سرعان ما إختفى .

إلا أن هذا لا يمنع من تواجد بعض الاضطرابات السلوكية التي ظهرت لدى بعض الأطفال عند الإدماج في قرية الأطفال (انطواء ، عدوانية ، و التي يمكن أن نجتمعها في صف الإضطرابات الإستجابية).

كما أننا لاحظنا أن نمط العلاقة الذي يربط الأطفال بأمهاتهم البيولوجيات يختلف من طفل لآخر، إذ أن بعض الأطفال وإن تربوا مع أمهاتهم البيولوجيات إلا أن معاملتهم كانت سيئة .

يبين إختبار صورة ري أن مستويات الأطفال مختلفة فهناك من نجح بشكل جيد في تمرير هذا الاختبار سواء تعلق ذلك بالناحية الكمية أو النوعية (نوع الصورة) انعدام العناصر السيكوباتولوجية الصارخة و دقة و ثراء الإنتاجية) و يتعلق ذلك بكل من حالتها آمال و كريم .

وهناك من تميزت صورته بالنتائج الكمية الضعيفة إلا أن نوع الصورة كان حسنا، يتعلق الأمر بحالة شهرزاد.

وهناك من تميزت صورة ري لديه بالضعف من الناحيتين الكمية و النوعية مثل حالات كل من زكي، سعاد، سليم.

أما إختبار السلام الفارقة للفعاليات العقلية فوضح أن أربعة أطفال من ستة تحصلوا على نتائج جيدة في هذا الاختبار و اثنين كانت نتائجهم ضعيفة بشكل عام و يتعلق الأمر بحالة سعاد وزكي.

أما إختبار TAT فيبين الإنتاجية الضعيفة لدى مجمل أطفال المجموعة و ذلك نظرا لسيادة السياقات التي تترجم الجوء إلى التجنب والكف والسياقات التي تترجم اللجوء إلى المراقبة و الموضوعية.

إن الأطفال الذين تميزوا بإضطرابات الوظائف العقلية في هذه المجموعة هم الأطفال الذين تميزت علاقاتهم بأمهاتهم بالإضطراب و يتمثل ذلك في المعاملة سيئة أو الحضور الأمومي غير الفعلي.

- على ضوء ما عرضناه سابقا نستنتج أن:
- النمو المعرفي لدى الأطفال الذين تعرضوا للانفصال المبكر عن الأم يختلف من طفل لآخر.
- الحرمان من العناية الأمومية يكون له تأثير على نمو الوظائف العقلية.
- اضطراب العلاقة أم - طفل يؤدي إلى اضطراب الوظائف العقلية. كما أننا أردنا أن نوضح أن لدور الحظوظ الأمومي الفعلي في السنوات الأولى من الحياة تأثيرا كبيرا على نمو الوظائف العقلية، فلقد تبين لنا من خلال هذا البحث أن الأطفال الذين حظوا بعناية أمومية جيدة و ذلك من خلال التواصل الدائم مع الطفل وكذلك من خلال تقديم العناية اللازمة من دون إفراط أو تفريط (حسب تعبير Winnicott الأم الحسنة) من شأنه أن يساعد الطفل على تنمية قدرات عقلية سليمة و متجانسة، و ذلك حتى و إن تعرض الطفل للحرمان من الأم في فترات لاحقة فإن ذلك من شأنه أن يؤثر على الناحية النفسية و ليست العقلية.
- أما إذا كان هذا الحضور غير فعلي أي أن الأم لا يمكن لها لسبب أو لآخر من تأدية ذلك الدور (قد يكون ذلك بسبب ظروف نفسية مثل معاناتها من مشاكل نفسية أو عقلية) فإن ذلك سيؤثر حتما على نمو الوظائف المعرفية و يمكن أن يطور هؤلاء اضطرابات عدم التجانس المعرفي الباثولوجي.
- إن الأطفال الذين حرموا من العناية الأمومية منذ الشهور الأولى من الحياة و الذين ترعرعوا في دور الحضانة التي تفتقد لشروط النمو السليم للأطفال لم يتمكنوا من أن يطوروا توظيفا معرفيا سليما، في حين أن الأطفال الذين حرموا من الأم منذ الولادة ولكن تمكنوا من يحظوا بديل أمومي قادر على توفير العناية اللازمة للنمو السليم فإنهم تمكنوا من النمو بشكل سليم من الناحية العقلية، رغم بعض المعاناة النفسية.

المراجع

1. Debray. R : « L'intelligence d'un enfant » Dunod , Paris, 1998
- 2 .Dollander. M, DE Tychev. C « La santé psychologique de l'enfant-fragilité et prévention » Dunod, paris, 2002.
- 3 .Lebovici .S, Soulé M : « La connaissance de l'enfant par la psychanalyse », Paris, PUF, 970
- 4 . Schmid. Kitsikis. E : « L'examen des opérations de l'intelligence-psychopathologie de l'enfant- Delachaux et Niestlé,1991.
- 5 . Wallon. H : « Evolution psychologique de l'enfant » Armand, Colin,1968.
- 6 . Winnicott : « Processus de maturation chez l'enfant » Payot, Paris ,1974

